الفصل الثاني
البدعة

• قال **الإمام أحمد** رحمه الله في خطبته في الرَّد على الجهميَّة: « الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍ تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريفَ المُغالين، وانتحالَ المُبطلين، وتأويلَ الجاهلين؛ الذين عقدوا أَلوية البدعة، وأَطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكِتابِ، مخالفون للكِتابِ، مُجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، ويتكلمون بالمتشابه مِنَ الكلام، ويخدعون جهَّال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله مِنْ فتنة الضالين »(١).

• وقال **سفيان** رحمه الله: « لا يُقبَل قولٌ إِلَّا بعمل، ولا يستقيم قولٌ ولا عملٌ إِلَّا بنيَّة، ولا يستقيم قول ولا عمل ولا نيّة إِلَّا بموافقة السُّنَّة، واستوصوا بأهل السُّنَّة خيرًا فإنهم غرباء ».

❁ ❁ ❁

• العقل أعظم النعم على الإنسان؛ لأنه الآلة في معرفة الإله سبحانه، والسبب الذي يُتوصَّل به إلى تصديق الرُّسُل، إِلَّا أَنه لا ينهض بكل المراد فبُعثت الرُّسُل وأُنزلت الكُتُب.

فمثال الشرع: الشمس، ومثال العقل: العين، فإذا انفتحت العين وكانت سليمة رأت الشمس واستفادت بها.

---

(١) «الرَّد على الجهمية والزنادقة » للإمام أحمد بن حنبل، ص (٦).

وكان **الحسن البصري** رحمه الله يقول: «إنَّ أهل السُّنَّة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإِترَافِ في إترَافِهم ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سُنَّتهم حتى لقوا ربهم فكذلك إنْ شاء الله فكونوا»(١).

❁ ❁ ❁

وقبل التعريف بالبدع لا بُدَّ مِنَ الاتفاق على ثلاثة أمور:

الأول: معرفة دور العقل مع الشرع، والجهة التي تلقى منها العقل والشرع:

ولا خلاف في أَنَّ هذه الجهة هي التي تُوصلك إلى مراد الله تعالى منك، بصورة مباشرة وصحيحة، ولا يتم ذلك إِلَّا مِنْ خلال ما أُرسل به رسوله مِنَ الكتاب والسُّنَّة؛ لأنَّ الله تعالى لما عَلِمَ عجزَ العبادِ عن الوصول إليه، أَرسل إليهم رسولًا مِنْ أَنفسهم يُعلِمُهم مراده منهم، قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾ [البقرة].

فمهام الرسول في هذه الآية:

١- تلاوة آيات الله على الناس ليزكّوا بها أنفسهم.

٢- تعليمهم الكِتَاب والسُّنَّة.

٣- وتعليمهم ما لا يعلمون مِنْ أمور الدين وقصص السَّابقين، وما سيكون إلى يومِ الدين لتنصَلح لهم الدنيا.

❁ ❁ ❁

(١) «إغاثة الملهوف»، لابن القيم (١/ ٧٠).

فوظيفة العقل فهم الشرع والالتزام به:

أتى رجلٌ إلى **الشافعيّ** رحمه الله وسأَله عن مسألة، فقال له: قضى فيها رسولُ الله ﷺ كذا وكذا، فقال الرجل للشافعي: ما تقول أَنتَ؟! فقال: سبحان الله! تراني في كنيسة! تراني في بِيعة! تراني على وسطي زنَّار؟! أقول لك: قضى رسولُ الله ﷺ وأنت تقول: ما تقول أنت؟!

ويقول **الإمام مالك** رحمه الله: « أوكلما جاءنا رجل أجدل مِنْ رجل تركنا ما جاء به جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء؟! ».

فمعارضة كلامِ النَّبي ﷺ بآراء الرجال وتقديمها على كلامه هو مِنْ فعل المكذبين للرُّسُل قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ۝٦٧﴾ [الأحزاب]

❁ ❁ ❁

الثاني: طريقة التلقي:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝١٨﴾ [القيامة: ١٨]، وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧].

فبعد معرفة الجهة التي يتلقى منها العقلُ الشرعَ، تكون طريقة التَّلقي، وهي الاتباع للقرآن، وأخذ ما أتى به الرسول ﷺ، والالتزام به.

وهكذا كان حالُ أصحاب النَّبي ﷺ الذين رَضِيَ الله عنهم؛ أُوتوا الإيمان قبل القرآن، فإذا سمعوا القُرآن وكلام النَّبي العدنان التزموا به، وقالوا: سَمِعْنا وأطعنا. فأخذوا القرآن والسُّنَّة مأخذ العمل والتطبيق، فكانت أخلاقهم وتعاملاتهم وأقضيَتُهم وسلوكهم وِفْقَ الكِتاب والسُّنَّة، وهذا فرق جليٌ وواضح بيننا وبينهم: هم أُوتوا الإيمان قبل القرآن، ونحن أُوتينا القرآن قبل الإيمان.

- لذلك تراهم عندما أُنزلت آية الحجاب في منتصف الليل، ما جاء الفجر

عليهم إِلَّا ونساء المسلمين كُلهنّ مُحجبات، ونحن اليوم نسمع وتُتلى علينا آيات الحجاب، ولم تلتزم الغالبيَّة مِنْ نساء المسلمين به، وكذلك آيات تحريم الخمر والرِّبا نزلت على أصحاب النَّبي ﷺ، فلم نسمع أو نرَ صحابيًّا واحدًا شَرِبَ الخمر أو تعامل بالرِّبا، ونحن اليوم نسمعها ومحلاتُ الخمور مفتوحةٌ ليلَ نهار، والبنوك الرِّبويَّة منتشرةٌ في كل بقاع العالم، حتى تراها قريبًا مِنْ أماكن المسلمين المقدَّسة، بل قد نجد مَنْ يُضَلِّل الناس ويُحِلُّ ما حرَّم الله تعالى، فيبيح لهم الخمور بأي حُجّة، ويبيح لهم التعامل بالرِّبا، وغيَّروا أسماءها، فسمُّوا الخمور مشروبًا روحيًّا، والرِّبا تقدُّمًا وحضارة، والرقصَ والعُهْرَ فنونَ العصر والتَّرويحَ عن النفس.

فلا بُدَّ مِنَ العودة إلى أنْ نُربي أنفسنا على أنْ نُؤتَى القرآن مع الإيمان حتى نصل بهما إلى برِّ الأمان ورِضَا الرحمن جلَّ وعلا.

❁ ❁ ❁

• **الثالث: ترك الهوَى والتقليد والعادات والتقاليد المخالفة والمناقضة للكتاب والسُّنَّة** :

جميع المعاصي إنما تنشأ مِنْ غلبة الهوَى على محبَّة الله ورسوله؛ قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠].

فطريق السُّنة: علمٌ، وعدلٌ، وهدى.

وطريق الهوَى: جَهلٌ، وبدعةٌ، واتّباع الظنّ.

• قال **الشاطبي** رحمه الله: « وَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَهْلُ الْبِدَعِ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ لِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ فَلَمْ يَأْخُذُوا الْأَدِلَّةَ الشَّرْعِيَّةَ مَأْخَذَ الِافْتِقَارِ إِلَيْهَا، وَالتَّعْوِيلِ عَلَيْهَا، حَتَّى يَصْدُرُوا عَنْهَا، بَلْ قَدَّمُوا أَهْوَاءَهُمْ، وَاعْتَمَدُوا عَلَى آرَائِهِمْ، ثُمَّ جَعَلُوا الْأَدِلَّةَ الشَّرْعِيَّةَ مَنْظُورًا فِيهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ، وَأَكْثَرُ هَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ،

وَمِنْ مَالَ إِلَى الْفَلَاسِفَةِ وَغَيْرِهِمْ »(١).

وقال **ابن رجب**: « وَكَذَلِكَ الْبِدَعُ، إِنَّمَا تَنْشَأُ مِنْ تَقْدِيمِ الهوَىٰ عَلَى الشَّرْعِ، وَلِهَذَا يُسَمَّىٰ أَهْلُهَا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، وَكَذَلِكَ الْمَعَاصِي، إِنَّمَا تَقَعُ مِنْ تَقْدِيمِ الهوَىٰ عَلَىٰ مَحَبَّةِ اللهِ وَمَحَبَّةِ مَا يُحِبُّهُ »(٢).

❁ ❁ ❁

• فكل مَنْ خالف الرسول ﷺ لا يخرج عن الظنّ وما تهوىٰ الأنفُس. قال تعالىٰ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم] كالاحتجاج بقياس فاسد أو نقل كاذب، أو أدلَّة عقليَّة يظنّها برهانًا.

قال **الصِّدِّيق أبو بكر** رضي الله عنه: « لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ، إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، إِنِّي أَخْشَىٰ إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ »(٣).

وقال **ابن بطة** رحمه الله في «**الإبانة**»: « هَذَا يَا إِخْوَانِي الصِّدِّيقُ الْأَكْبَرُ يَتَخَوَّفُ عَلَىٰ نَفْسِهِ الزَّيْغَ إِنْ هُوَ خَالَفَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَمَاذَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنْ زَمَانٍ أَضْحَىٰ أَهْلُهُ يَسْتَهْزِئُونَ بِنَبِيِّهِمْ وَبِأَوَامِرِهِ، وَيَتَبَاهَوْنَ بِمُخَالَفَتِهِ، وَيَسْخَرُونَ بِسُنَّتِهِ؟ نَسْأَلُ اللهَ عِصْمَةً مِنَ الزَّلَلِ، وَنَجَاةً مِنْ سُوءِ الْعَمَلِ »(٤).

❁ ❁ ❁

وفي الحديث: **{ إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُلْتَمَسَ الْعِلْمُ عِنْدَ الأَصَاغِرِ }**(٥).

وإِلَّا كيف يعتمد المؤمن علىٰ عادات، أكثر مَنْ اعتادها العامَّة أَو أُناس مترأِّسون

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٦٨٤). تحقيق الهلالي.
(٢) جامع العلوم والحكم، تحقيق الأرناؤوط (٢/ ٣٩٧).
(٣) أخرجه مسلم، ح (١٧٥٩).
(٤) الإبانة الكبرى، لابن بطة، رقم (٧٧)، (١/ ٢٤٥).
(٥) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، ح (٩٠٨).

بالجهالة؟!

• وأورد **الذهبي** في «السِّيَرِ»(١) قولَ **أبي قِلَابَةَ الجَرْمِيِّ عَبْدِ اللهِ بن زَيْد** رحمه الله: « وَإِذَا رَأَيْتَ الْمُتَكَلِّمَ الْمُبْتَدِعَ يَقُوْلُ: دَعْنَا مِنَ الكِتَابِ وَالأَحَادِيْثِ الآحَادِ وَهَاتِ العَقْلَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ أَبُو جَهْلٍ، وَإِذَا رَأَيْتَ السَّالِكَ التَّوْحِيْدِيَّ يَقُوْلُ: دَعْنَا مِنَ النَّقْلِ وَمِنَ العَقْلِ وَهَاتِ الذَّوْقَ وَالوَجْدَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ إِبْلِيْسُ قَدْ ظَهَرَ بِصُوْرَةِ بَشَرٍ، أَوْ قَدْ حَلَّ فِيْهِ ».

وقال تعالى: **(وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾)** [الأنعام].

قال **ابن سيرين** رحمه الله: «نزلت هذه الآية في أَصحاب الأهواء».

ويدخل في هذه الآية كُلُّ مُحدَثٍ في الدين مبتدع.

وفي الحديث: **{ إِذَا رَأَيتُم الَّذِينَ يَتَّبِعُون مَا تَشَابَهَ مِنهُ فَأُولِئكَ الَّذِيْنَ سمَّى الله فَاحْذَروهُم }**(٢).

ويقول **أمير المؤمنينَ عليُّ بن أبي طالب** رضي الله عنه: «**النَّاس ثلاثة: فعالمٌ ربانيّ، وعالمٌ مُتعلم على سبيل نجاة، وهمج رِعاع اتِّباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركنٍ وثيق**».

❁ ❁ ❁

وفي الحديث: **{بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ}**(٣)، وفي روايات «**السُّنَن**» وغيرها: **{ فطوبى للغرباء الذين يُصلِحون عند فساد الناس }**،

---

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٤/ ٤٧٢) طبعة الرسالة.

(٢) أخرجه مسلم ك: «العلم» ب: «النَّهي عن اتِّباع متشابه القرآن والتحذير مِنْ مُتبعيه» ح «٢٦٦٥».

(٣) أخرجه مسلم، ك «الإيمان» ب: «بيان أنَّ الإسلام بدأ غريبًا» ح «١٤٥».

{ الذين يمسِّكون بكتاب الله حين يترك، وبالسُّنَّة حين تطفأ }، { الذين يُحيون ما أَمات الناس مِنَ السُّنَّة كالغريب في قوم }.

وفي الحديث: { لا تَزَالُ طَائِفَة مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحقِّ لَا يضرّهم مَنْ خَذَلُهُمْ، حَتَّى يَأْتِي أَمْرُ الله وَهُمْ كذَلِكَ }(١).

• قال **الحسن البصري** رحمه الله: « لَنْ يَزَالَ للهَّ نُصَحَاءُ فِي الْأَرْضِ مِنْ عِبَادِهِ، يَعْرِضُونَ أَعْمَالَ الْعِبَادَ عَلَىٰ كِتَابِ اللهَّ، فَإِذَا وَافَقُوهُ، حَمِدُوا اللهَّ، وَإِذَا خَالَفُوهُ، عَرَفُوا بِكِتَابِ اللهَّ ضَلَالَةَ مَنْ ضَلَّ، وَهُدَىٰ مَنِ اهْتَدَىٰ، فَأُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللهَّ »(٢).

ويلحق بأصحابِ الهوَىٰ كلُّ مَنْ يُعجَب برأيه، ومِنْ ذلك ما أورده القرطبي في تفسيره سورة المائدة قول الرسول ﷺ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾[المائدة:١٠٥].

{ بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ - يَعْنِي - بِنَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ}، وَزَادَ غَيْرُهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: { أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ }(٣).

---

(١) أخرجه البخاري: ك: «الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة» ب: «قول النَّبي ﷺ: «لا تزال ...»، ح: «٧٣١١» مِنْ حديث المغيرة رضي الله عنه، ومسلم، ك: «الإمارة»، ب: «قول النَّبي ﷺ: «لا تزال طائفة مِنْ أُمَّتي ظاهرين على الحق لا يضرهم مَنْ خالفهم»، ح: «١٩٢٠» مِنْ حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) انظر: الاعتصام، للشاطبي (١/ ٤٦).

(٣) أخرجه أبو داود: ك: «الملاحم» ب: «الأمر والنَّهي» ح: «٤٣٤١»، والترمذي، ك: «تفسير القرآن»، ب: «ومِنْ سورة المائدة»، ح: «٣٠٥٨» مِنْ حديث أبي ثعلبة جرثوم بن ناشم رضي الله عنه، قال أبو عيسى: حديث حسن غريب، وضعَّفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٣٤٤).

وإعجاب المرء برأيه هو مِنْ أهم أسباب الشِّقاق والنزاع في الأمَّة، سواء في محيط الأسرة، أو بين الزوج وزوجه، أو بين الأصدقاء والخلَّان، حتىٰ في بيوت الله ﷻ، وبين الجماعة المؤمنة، وقد يكون سببًا في التناحر والتناجز والتشاجر والصراعات.

وعلىٰ المسلم أنَّ يحترم نفسه ويصون لسانه ويحفظ عقله عندما يدلو برأيه أمام أصحاب الخبرة والتخصُّص، ومَنْ هُمْ أكثر منه عِلمًا وأكبر سِنًّا وأكثر دراية ورواية، وهذا ما يقطع علىٰ المسلم طريق الجدل والجدال والمراء، فمَنْ ترك الجدال وهو محق ضمن له النَّبي ﷺ بيتًا في وسط الجنَّة.

❁ ❁ ❁

تعريف البدعة وصفات أصحابها:

• **البدعة في اللغة**: الإنشاء والإبداع والاختراع، والبديع والبدعة: «الشيء الذي يكون أولًا». ومنه قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]. أي ما كنت أَول مَنْ أُرسل، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٠١]. أي: مخترعها مِنْ غير مثالٍ سابق.

• **والبدعة في الشرع**: « طريقة في الدين مُخترعة تُضاهي الشرعيَّة يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبّد لله سبحانه »(١).

فضابط البدعة: « التعبُّد لله بما لم يُشرِّعه الله؛ بمعنىٰ التعبُّد لله بما ليس عليه النَّبيّ ﷺ ولا خلفاؤه الراشدون ».

ويلاحظ في هذا التعريف الشرعي أربعة شروط للبدعة هي:

---

(١) الاعتصام، للشاطبي (١/ ٢٦).

١- أنها طريقة في الدين :

فإذا كانت البدعة - وهي ما أُحدث على غير مثالٍ سابق- تتعلَّق بالمعاملات وشئون الدنيا كاختراع الأجهزة الحديثة، ووسائل النقل المعاصرة وآلات الحرب والحرث مما يعود بالنَّفع إلى مصالح الناس في دنياهم؛ فلا حرج ولا شيء فيها؛ لأنها طريقة في الدُّنيا وليست في الدين بشرط أن يُقصد بها الخير ونفع الناس، فإن قُصِدَ بها شرّ أَو ضرر الناس أَو إفساد في الأرض فهي شرٌّ وبلاء.

❁ ❁ ❁

٢- أنها مُختَرَعة:

أي ليس لها أَصلٌ ولا سند؛ أي: هي ما فُعِلَ بغير دليلٍ شرعي؛ كاستحباب ما لم يُحِبِّه الله، وإيجاب ما لم يوجبه الله، وتحريم ما لم يُحرِّمه الله، فلو عَمِلَ الإنسان فعلًا مُحَرَّمًا يعتقد تحريمه لم يكن فعله بدعة بل يكون معصية، أمَّا إذا فعل مُحرمًا لم يحرمه الله تعالى ولا رسوله وهو يعلم ذلك فعمله بدعة ضلالة. وهذا فرقٌ مهمٌّ بين البدعة والمعصية.

• وكذلك لا يدخل فيها مَنْ سنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنةً؛ لأنَّ مَنْ سنَّ هذه السُّنَّة لم يخترعها؛ لأَنَّ لها أَصلًا في الإسلام. فما وافق السُّنَّة فهو محمود، وما خالف السُّنَّة فهو مذموم.

وسبب قول النَّبي ﷺ: **{ مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ }**.

أنه جاء قومٌ حُفاة عامتهم مِنْ مُضر إلى رسول الله ﷺ فَتَمَعَّر وجُهه لما رأى بهم مِنَ الفاقة، فخطب في الناس ثم قال: **{ تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ،**

مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ }، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّىٰ رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّىٰ رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ »(١).

فهذا الحديث يتكلَّم عن السُّنَّة التنفيذية وليست السُّنَّة التشريعية، فهذا الصحابي ﷺ لم يُشرِّع الصدقة ولم يبتدئها ويبتدعها، ولكنَّه نفَّذها وعمل بها.

وكذلك فعل أَمير المؤمنين عُمر ﷺ في جمع الناس في صلاة التراويح في رمضان. فإنَّ النَّبي ﷺ قد صلاها وجمع النَّاس لها وَنَدَبَهم إليها، فكان فعله ﷺ محمودًا، ولو كانت في خلاف ما أمر الله به ورسوله فهي في حيز الذم والإنكار.

فعمر ﷺ لم يُشَرِّعْ صلاة التراويح، ولكنه نفَّذها وعمل بها.

٣- أنها تضاهي الشرعيّة :

كبدعة نفي القَدَر، وبدعة بناء المساجد على القبور، والطواف حول المزارات، والذبح والنذر لغير الله، وكصلاة الرغائب في أَول رجب، وتعين أَذكار عند غَسلِ أعضاء الوضوء وغير ذلك. فكل أمثال ذلك تضاهي الشرع؛ لأنه مما ليس عليه أمر النَّبي ﷺ وأصحابه الكرام، وليس عليها دليل مِنَ السُّنَّة.

❁ ❁ ❁

٤- أن يقصد بها المبالغة في التعبد:

كشأن الثَلاَثَةُ رَهْطٍ الذين جَاءوا إِلَىٰ بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ

(١) أخرجه مسلم: ك: «الزكاة» ب: «الحثّ على الصدقة» ح: «١٠١٧».

آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: **{ أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي }**(١). أي بمعنىٰ: مَنْ رَغِبَ عن سُنَّتي فقد ضَلَّ.

لأنه إنْ قصد ببدعته المبالغة في التعبد فهو بذلك يتهم الشريعة بنقصَانِها، والشريعة ما جاءت إِلَّا بأكمل الوجوه لصالح العباد في عاجلهم وآجلِهم وهو كاف، فالكمال والقبول والوحدة والأُلفة والمصلحة للعباد في الاتباع وليس الابتداع.

فالبدعة سببٌ في عدم قبول العمل، ونقصه وتفرق الأمَّة إلىٰ فِرَقٍ وأَحزابٍ وطوائف، وهي ضرر علىٰ العباد.

•• وقفة مع جملة (تضاهي الشَّرعيَّة) :

هذه الجملة مِنْ تعريف البدعة لها أهمية قصوىٰ في كيفية التَّعَرُّفِ علىٰ البدعة؛ **وذلك مِنْ عِدَّةِ أوجه :**

الأول: السبب: فالعبادات مقرونة بأَسبابٍ شرعيَّة، كمن أَحيا ليلة السابع والعشرين مِنْ رجب بالتهجُّدِ دون باقي الليالي. يكون عمله بِدعة؛ لأَنَّ العبادة اقترنت بسبب لم يَثْبُتْ شرعًا.

الثاني: الجنس: شرع الله تعالىٰ الأُضحية مِنْ جنس الأنعام فَمَن ذَبحَ فرسًا (أُضحية) كان عمله بِدْعة.

الثالث: القَدْر: فلو صلىٰ المرء الظهر خمسًا بدلًا مِنْ أربع ركعات كانت عبادته بِدعة لمخالفته لما شرَّعه الله تعالىٰ وقدرها بأربع ركعات.

---

(١) أخرجه البخاري: ك: «النِّكاح» ب: «الترغيب في النكاح»، ح: «٥٠٦٣»، ومسلم: ك: «النكاح»، ب: «استحباب النكاح ..»، ح: «١٤٠١»، مِنْ حديث أنس بن مالك ﷺ.

obeikandi.com

الرابع: **الكيفية**: فلو توضَّأَ ومسح رجليه قبل يديه لم يَصِحَّ وضوءه؛ لأَنه مخالف الترتيب والموالاة بين الأَعضاء، ومخالف للكيفيَّة التي جاء بها الشَّرع.

الخامس: **الزمان**: فلو أَنَّ رجلًا ضَحَّىٰ أَول أيام ذي الحِجَّة لا تُقبل أُضحيته إنما هي طعام أطعمه للناس؛ لأَنَّ زمان الأُضحية يبدأ مِنَ اليوم العاشر مِنْ ذي الحجَّة (وهو أَول أَيام عيد الأَضحىٰ المبارك).

السادس: **المكان**: فلو أَنَّ رجلًا اعتكَف بغير المسجد لا يصح اعتكافه.

❁ ❁ ❁

• ولمعرفة البِدعة ومضاهاتها للشريعة نسأل صاحب البِدعة هذا السؤال:

هل عملك هذا كان رسول الله ﷺ يعلمه أو يجهله ؟

فإنْ أَجَابَ: كان يَعْلَمُه نقول له **هناك احتمالان**:

الأول: أنهُ عَلِمَه وكَتَمه ولم يُبيِّنه، وهذا مستحيل؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ بَلَّغَ كل ما أُنزِلَ إليه مِنْ ربِّه ولم يكتم منه شيئًا.

الثاني: أنه عَلَّمهُ وبيَّنه وذكره في أحاديثه وسُنَنه، وفي هذه الحالة لا يكون الأمر بِدعة، لأنها لا تضاهي الشرعيَّة، بل وافقتها.

وإنْ أجاب: كان رسول الله ﷺ يجهله نقول له: ما جَهِلهُ رسول الله ﷺ ليس بدين، ويكون العمل به بِدعة، لأنَّ الدِّينَ ما علِمَه رسولُ الله ﷺ، وكيف يجهله رسول الله ﷺ وتَعْلَمُهُ أَنت؟!

لذلك ترىٰ المبتدع ينتصر لبدعته بأمور يُخيل إليه أَنها مشروعة، ولو بدعوىٰ الاقتداء بفلان المعروف منصبه وشُهرته، وهذا كقول العرب في أصل الشِّرك: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

❁ ❁ ❁

• **كيف تعرف أهل الأهواء والبدع ؟** :

• الدليل الذي يُستَدلُّ به فَرْقٌ بين أَهل الحق وأَهل الأَهواء، حيث تجد صاحب الحق يقرأَ في الكتاب والسُّنَّة، فإنَّ صادفه دليلٌ عمل به وجعل هواه تبعًا له، وصاحب الهوَىٰ لديه بِدعة أو فِكرة أو قول ثم يبحث في الكتاب والسُّنَّة علىٰ دليلٍ يمكن تأويله تبعًا لهواه، فيكون الكتاب والسُّنَّة تبعًا لهواه علىٰ الضدِّ مِنْ أهل الحق الذي جعلوا حياتهم وأفكارهم تبعًا للكتاب والسُّنَّة.

• وثمة أمر آخر تَعْرِف به أهل الحقّ مِنْ أهل الزيغ والضلال والأهواء: أهل الحق عندما يتحدثون في مسألة أو حُكم يجمعون له الأدلة مِنَ الكتاب والسُّنَّة، أمَّا أهل الباطل فهم يبحثون عن أي دليل فإذا صادفهم دليلٌ واحد استدلوا به، كاستدلال الخوارج مثلًا علىٰ كفر المسلم الذي يُقاتل المسلم بحديث النَّبيّ ﷺ: **{ سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ }**(١). واكتفَوْا به دليلًا علىٰ كُفر المسلم إذا تقاتل مع المسلم، وفاتهم قول الله ﷻ: **(وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَاۖ)** [الحجرات:٩].

ومثال استدلالهم علىٰ مَنْ تحاكم إلىٰ غير الله بأنه كفر مستدلين بقوله تعالىٰ: **(إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ)** [الأنعام:٥٧]. فكَفَّر الخوارج كلًّا مِنْ: **عليّ بن أبي طالب**، و**مُعاوية بن أبي سفيان** رضي الله عنهما مُستدلين بهذه الآية لما رفعوا المصاحف ورضوا بالتحاكم ونسي هؤلاء قول الله ﷻ: **(وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ)** [الأنبياء:٧٨]، وقوله تعالىٰ: **(يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ)** [المائدة: ٩٥].

• فأسند الله تعالىٰ الحكم **لداود وسليمان**، ولذوي العلم في الحكم بين الناس.

---

(١) أخرجه البخاري ك: «الإيمان» ب: «خوف المؤمن مِنْ أنْ يحبط عمله وهو لا يشعر»، ح: «٤٨»، ومسلم ك: «الإيمان» ب: «بيان قول النّبيّ ﷺ سباب المسلم فسوق» ح: «٦٤».

•• ذم البدع، وبيان سوء منقلب أصحابها :

أولا: من جهة النظر:

١- لأنَّ العقول لا تستقل بإدراك مصالحها دون الوحي. وهذا معلوم لكل ذي عقل، والابتداع مضادٌّ لهذا الأصل؛ لأنه ليس له مستندٌ شرعي، وما جاءت الشرائع إلَّا لمصالح العباد.

٢- الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان. قال تعالىٰ: **﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾** [المائدة: ٣].

وفي حديث **العرباض بن سارية** ﷺ قوله ﷺ: **{ وَإِيَّاكُم وَمُحدثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحدثٍ بِدْعةٍ وَكُلَ بدْعةٍ ضَلَالة }**(١).

فالمبتدع يرىٰ أَنَّ الشريعة لم تَتِمَّ، وأَنَّه بقي منها أَشياء يجب ويُستحَبُّ استدراكها؛ لأنه لو كان معتقدًا لكمالها وتمامها مِنْ كل وجه لم يبتدع.

قال **الإمام مالك** رحمه الله: «مَن ابتدع في الإسلام بِدعة يراها حسنة فقد زعم أَنَّ مُحمدًا خان الرسالة، لأَنَّ الله يقول **﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾** فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا».

• والقائل إنَّ هناك بِدعة حسنة على حالَيْنِ:

الأول: ألَّا تكون بِدعة لكنه يظنها بدعة.

الثاني: أن تكون بدعة فهي سيئة لكن لا يعلم سوءَها لأنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالة.

٣- المبتدع معاند للشرع، ومشاقِقٌ له؛ لأنَّ الله تعالىٰ عيَّنَ لمطالب العبد طُرقًا خاصَّة علىٰ وجوه خاصة، وأَخبر أَنَّ الخير فيها، وأنَّ الشرَّ في تَعدِّيها؛ لأَنَّ الله تعالىٰ

---

(١) أخرجه أبو داود: ك: «السُّنَّة»، ب: «في لزوم السُّنَّة» ح: «٤٦٠٧»، عن العرباض بن سارية ﷺ.

يعلم ونحن لا نعلم، والمُبتدع رادٌّ لذلك كله، وربما فهم مِنَ استدراكه أَنَّهُ عَلِم ما لم يَعلَمْهُ الشَّارع؛ وهذا كفرٌ بالشَّريعة والشَّارع (جلَّ وعلا). وإنْ كان مقصوده غير ذلك فهو ضلال مبين.

يقول **عمر بن عبد العزيز** رحمه الله: «إنَّ السُّنَّة سنَّها مَنْ قد عَرَفَ ما في خلافها».

٤- أَنَّ المُبتدع قد أَنزل نفسه منزلةَ المضاهي للشَّارِعِ؛ لأنَّ الشَّارِعَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وضع الشرائع وألزم الخلق الجري على سُنَّتها، وصار هو المنفرد بذلك؛ لأنه حكمٌ بين الخلق فيما كانوا فيه يختلفون، وكفى بذلك مِنَ الجُرْم للمبتدع.

٥- البدعة مِنَ اتِّباع الهوَىٰ؛ لأَنَّ العقل إذا لم يكن مُتَّبعًا للشرع لم يبق له إِلَّا اتِّباع الهوَىٰ والشّهوة، فهما طريقان للعبد لا ثالث لهما: إمَّا اتِّباع الوحي وإمَّا اتِّباع الهوَىٰ، واتباع الهوَىٰ ضلالٌ مبين؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، فالأمر محصور بين الحقِّ الذي هو الشرع، والضلال الذي هو الهوَىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وهذا شأن المبتدع: اتِّباع الهوَىٰ بغير هدىٰ مِنَ الله.

❁ ❁ ❁

- **واتباع الهوَى على نوعين** :

الأول: أنْ يكون الهوَىٰ تابعًا للأمر والنَّهىٰ كما بيَّنته الشريعة، وهذا هو شأن المؤمن التَّقِي؛ لا يُؤمِنُ حتىٰ يكون هواهُ تبعًا لِمَا جاء به الشّرع مِنَ الكتابِ والسُّنَّة.

الثاني: أنْ يكون هواه هو المقدَّم، والأمر والنهىٰ تابعان له، وهو المذموم.

والمبتدِع قَدَّمَ هوىٰ نفسه علىٰ هُدىٰ الله فكان أضلَّ النَّاس وهو يظن أَنَّهُ علىٰ هدىٰ.

• **والأحكام الشرعية لها طريقان** :

الأول: طريق الشريعة :

ولا مريَة في أَنَّها عِلمٌ وحق وهدىٰ ونورٌ مبين. قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ [النساء:١٧٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤﴾ [النساء].

الثاني: طريق الهوَى:

وهو المذموم؛ لأَنَّ القرآن الكريم لا يذكره إِلَّا في سياق الذَّم. قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣﴾ [الجاثية]. أي لا يهديه دون الله شيء، وذلك بالشرع لا بغيره، وهو الهوَىٰ.

لذلك لم يبق لأحدٍ حُجَّةٌ يستقيم إليها بعد ما جاءت به الرُّسُل. قال تعالىٰ: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، والخطأ المعذور فيه قبل الرُّسُل هو الخطأ في التشريعات والعقليات.

❁ ❁ ❁

ثانيًا: ذمُّ البدع من جهة النقل :

أولا: من القرآن الكريم:

١- قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

قَالَتْ **أم المؤمنين عَائِشَةَ** رضي الله عنها: تَلاَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هذه الآية، فقال: { فَإِذَا

رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ }(١).

فقد جعل الله سبحانه وتعالى المتشابه في كتابه ليميِّز الخبيث مِنَ الطيِّب، والمؤمن الراسخ مِنَ الزائغ الهالِك.

وَقَالَ **الخطابيّ** رحمه الله: « الْمُتَشَابِهُ عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا مَا إِذَا رُدَّ إِلَى الْمُحْكَمِ وَاعْتُبِرَ بِهِ عُرِفَ مَعْنَاهُ، وَالْآخَرُ مَا لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُقُوفِ عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَتَّبِعُهُ أَهْلُ الزَّيْغِ فَيَطْلُبُونَ تَأْوِيلَهُ »(٢).

وقال الشاطبي رحمه الله: « مِنَ اتِّبَاعِ الْمُتَشَابِهَاتِ: الْأَخْذُ بِالْمُطْلَقَاتِ قَبْلَ النَّظَرِ فِي مُقَيِّدَاتِهَا أَوْ فِي الْعُمُومَاتِ مِنْ غَيْرِ تَأَمُّلٍ؛ هَلْ لَهَا مُخَصَّصَاتٌ أَمْ لَا؟ وَكَذَلِكَ الْعَكْسُ؛ بِأَنْ يَكُونَ النَّصُّ مُقَيَّدًا فَيُطْلَقُ، أَوْ خَاصًّا فَيَعُمُّ بِالرَّأْيِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ سِوَاهُ فَإِنَّ هَذَا الْمَسْلَكَ رَمْيٌ فِي عَمَايَةٍ، وَاتِّبَاعٌ لِلْهَوَى فِي الدَّلِيلِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُطْلَقَ الْمَنْصُوصَ عَلَى تَقْيِيدِهِ مُشْتَبِهٌ إِذَا لَمْ يُقَيَّدْ، فَإِذَا قُيِّدَ؛ صَارَ وَاضِحًا، كَمَا أَنَّ إِطْلَاقَ الْمُقَيَّدِ رَأْيٌ فِي ذَلِكَ الْمُقَيَّدِ مُعَارِضٌ لِلنَّصِّ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ »(٣).

وعلامةُ الزيغ الجدالُ في القرآن والسُّنَّة، وهي أهمُّ صفةِ المبتدع.

٢- قال تعالى: **(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾)** [آل عمران]، قال قتادة رحمه الله: نزلت في أهل الأهواء، يعني أهل البدع.

٣- قال تعالى: **(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ)** [آل عمران: ١٠٦]. قال **ابن عباس** رضي الله عنهما: «تبيضّ وجوه أهل السُّنَّة، وتسودّ وجوه أهل البدعة».

---

١) أخرجه البخاري: ك: تفسير القرآن، ب: قوله تعالى ﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾، ح (٤٥٤٧)، ومسلم: ك: العلم، ب: النهي عن اتباع متشابه القرآن، ح (٢٦٦٥).

٢) فتح الباري (٨/ ٢١١).

(٣) الاعتصام (جـ ١/ ١٨١ - ١٨٦).

٤- قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فالصراط المستقيم: هو سبيل الله الذي دعا إليه، وهو محمد ﷺ أي: اتِّباع السُّنَّة.

والسُبُل: هي سبل أهل الاختلاف الحائدين عن الصراط وهم أهل البدع.

وعندما خطّ الرسول ﷺ خطًّا بيده ثم قال: «هَذَا سَبيلُ الله مُسْتقِيمًا، ثمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَن يَمينِ ذَلِكَ الخَطْ وَعَن شمالِهِ ثُمَّ قَالَ: وَهَذِه السُبلُ لَيسَ فِيهَا سَبيلٌ إِلَّا عَليهِ الشَيطانُ يَدْعو إِليهِ ثُمَّ قَرأَ الآية ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا﴾»[(١)].

قال **بكر بن العلاء**: أحسبه أراد شيطانًا مِنَ الإنس وهي البدع، وقال مجاهد: «**ولا تتبعوا السبل**» قال: البدع والشهوات.

٥- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

قالت **أم المؤمنين عائشة** رضي الله عنها في أصحاب الأهواء وأصحاب البدع وأصحاب الضلالة مِنْ هذه الأمَّة: «ألا وإنَّ نبيّكم قد برئ ممن فَرَّقَ دينه واحتزب»[(٢)].

٦- قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]. قال **ابن عباس** رضي الله عنهما: «أن لبسكم شيعًا هو الأهواء المختلفة».

٧- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

---

(١) أخرجه أحمد (٧/ ٢٠٨) مِنْ حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وفي السُّنَن بلفظ قريب.

(٢) أخرجه أحمد في «العلل ومعرفة الرجال» (٢/ ٥٤٨)، وينظر الاعتصام للشاطبي (١/ ٨٠).

[هود]. المختلفون هم أهل الباطل، و﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: هم أهل السُّنَّة.

٨- قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٠٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف]. هم أصحاب التأويلات الفاسدة مِنْ يهود ونصارىٰ ومُبتدعة وأهل الرِّياء، والذين يُضيِّعون الصنيعة بالمِنَّة.

❁ ❁ ❁

ثانيا: من السُّنة المشرَّفة:

١- قوله ﷺ: **{ إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِن قَبض العِلمَ بِقَبضِ العُلَمَاءِ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسَ رءُوسًا جُهالًا فَيسأَلُون، فَأفتوا بِغيرِ عِلمٍ فَضَلُّوا وأَضَلوا }**[(١)]، ولذلك كان كل مَنْ أفتىٰ بغير علم مِنَ المبتدعة.

وفروع جهل المبتدعة بالشريعة كثيرة منها:

الجهل بالحديث ومراد النَّبي ﷺ منه، و**الجهل** بفهم الصحابة لكلام الله ورسوله وسبيلهم، و**الجهل** بمقاصد الشّرع، و**الجهل** بكلام العرب (مِنْ حيث اللُّغة والبلاغة)، و**الجهل** بقواعد العلوم والأصول الشرعية، و**الجهل** في فهم ذلك كلِّه.

٢- عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ جَعْدَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِكِتَابٍ فِي كَتِفٍ فَقَالَ: **{ كَفَى بِقَوْمٍ ضَلَالَةً أَنْ يَبْتَغُوا كِتَابًا غَيْرَ كِتَابِهِمْ إِلَى نَبِيٍّ غَيْرِ نَبِيِّهِمْ }**، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾»[(٢)] [العنكبوت: ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم

---

(١) أخرجه البخاري: ك: «العلم»، ب: «كيف يقبض العلم»، ح: «١٠٠»، ومسلم: ك «العلم»، ب: «رفع العلم وقبضه»، ح: «٢٦٧٣» مِنْ حديث عمرو بن العاص ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود في «المراسيل» ح (٤٥٤)، (١/ ٣٢٠)، وضعَّفه الألباني في «الضعيفة» (٥٨٧٦).

﴿بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١﴾ [آل عمران].

٣- قوله ﷺ: { مَنْ رَغِبَ عن سُنَّتِي فَليسَ مِنِّي }، وقد سبق.

٤- وفي الحديث { فإنَّ خَيْرَ الحديث كِتَابُ الله، وَخَير الهَدي هَدي مُحمَّد ﷺ، وَشرّ الأُمُورِ مُحدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة }(١).

٥- وفي الحديث: { تَفَرَقَتِ اليهُودُ عَلى إحدَى وَسَبعِينَ فِرقَة أَو اثْنَتَين وَسَبعِينَ، وَالنَّصَارَى مِثلَ ذَلِكَ، وَتَفْتَرقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبعِينَ فِرقَة }. وفي رواية: { إِلَّا مِلَّةً واحدةً }. قالوا: مَا هي يا رسول الله؟ قال: { مَا أَنَا عَلِيهِ وَأَصْحَابِي }(٢).

٦- قال **محمد بن سيرين**: « إني أَرىٰ أَسرع الناس ردّةً أَصحاب الأهواء، وإنَّ هذه الآية نزلت فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨].

٧- قوله ﷺ: { لَا تَقومُ السَّاعَةَ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأخذِ القُرونَ قَبلَهَا شِبرًا بشبرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ }، فقيل: يا رسول الله ﷺ كفارس والروم؟ فقال: { وَمِنَ النَّاسِ إِلَّا أُولئِكَ؟! »(٣).

٨- وعَنْ عَبْدِ الله، قَالَ: « خَطَّ رَسُولُ الله ﷺ، خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: { هَذَا سَبِيلُ الله مُسْتَقِيمًا }، قَالَ: ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: { هَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ }، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ

---

(١) أخرجه مسلم : ك: «الجمعة» ب: «تخفيف الصلاة والخطبة» ح: «١٤٣٥».

(٢) أخرجهما الترمذي ك: «الإيمان» ب: «ما جاء في افتراق هذه الأمَّة» ح: «٢٦٤٠، ٢٦٤١»، مِنْ حديث أبي هريرة ﷺ. وقال الترمذي: حسن صحيح.

٣) أخرجه البخاري: ك: «الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة» ب: «قول النَّبي: { لتتبعن سُنَن مَنْ كان قبلكم }، ح: «٦٧٧٤».

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾» [الأنعام: ١٥٣] (١).

قال **أبو العالية** رحمه الله: «عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أنْ يفترقوا».

وقال **الأوزاعي** رحمه الله: « اصبر نفسك على السُّنَّة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكفّ عما كفّوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم ».

٩- وفي الحديث: **{ مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ }**. وفي رواية عند مسلم: **{ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ }**(٢).

قال **الجنيدُ** رحمه الله: «الطرق كلها مسدودة على الخلق، إِلَّا مَنْ اقتفى أَثَرَ الرسول ﷺ واتبع سُنَّته ولزم طريقته، فإنَّ طرُق الخيرات كلها مفتوحة عليه».

١٠- وعن **أبي أيوبَ السخيستاني** رحمه الله قال: « ما ازداد صاحب بدعة اجتهادًا إِلَّا ازداد مِنَ الله عزوجل بُعدًا ».

وقال **سفيان الثوري** رحمه الله: « البدعة أحبُّ إلى إبليس مِنَ المعصية ».

وقال **الفضيلُ بن عِياض** رحمه الله: « مَنْ أَحبَّ صاحب البدعة أَحبط الله عمله وأَخرج نور الإسلام مِنْ قلبه، ولا يُرفع لصاحب البدعة إلى الله عزوجل عمل، ومَنْ أَعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام، ومَنْ زوَّج كريمته مِنْ مُبتدع فقد قطع رَحِمها، ومَنْ جلس مع صاحب بدعة لم يُعط الحكمة ».

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٤٤٣٧)، والحاكم في المستدرك، ح (٢٩٣٨)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه البخاري: ك: «الصلح» ب: «إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود» ح: (٢٦٩٧)، ومسلم: ك: «الأقضية» ب: «نقض الأحكام الباطلة ومحدثات الأمور» ح: «١٧١٨».

فصـــل
في علامات أهل البدع

١- الجهل بمقاصد الشريعة، والانحراف عن الأصول والنصوص الواضحة، وتأويلها تأويلًا فاسدًا يوافق أهواءهم.

٢- اتِّباع الهَوَىٰ وغلبته علىٰ محبَّة الله ورسوله ﷺ. قال تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القصص:٥٠]، وجعلوا الأدلَّة الشرعيَّة منظورًا فيها مِنْ وراء ذلك.

٣- تحريف الكَلِم عَنْ مواضعه، ومعارضة النصوص بالآراء والعقول، واتِّباع المتشابه، وتقديم كلام شيوخهم علىٰ الكتاب والسُّنَّة.

٤- الأخذ بالقرآن والتشكيك في السُّنَّة، وعدم احترام أهل العلم والوقوع فيهم، وموالاة مَنْ وافقهم، ومعاداة مَنْ خالفهم، (علىٰ عكس أهل السُّنَّة الذين ليس لهم متبوع يتعصَّبون له إلَّا رسول الله ﷺ، وهم أَعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزًا بين صحيحها وسقيمها).

٥- التجرُّؤ علىٰ الفُتيا والتحليل والتحريم؛ وينشأ عن هذه الجرأة كِتمانُ الحقّ وردُّ النصوص التي تخالف مذهبهم، واعتقادهم في ذلك قولهم: إذا احتجّوا عليكم بالحديث فخاطبوهم بالتكذيب، وإذا احتجّوا بالآيات فخاطبوهم بالتأويل.

فيردُّون الأحاديث غير الموافقة لأَغراضهم ومذاهبهم، وَيدَّعون أَنها مخالفة للمعقول، وغير جارية علىٰ مقتضىٰ الدليل، مثل المُنكرين لعذاب القبر، والصراط، ورؤية الله ﷻ في الآخرة، وحديث الذبابة، وحديث الذي سقىٰ أَخاه عسلًا.

٦- استخدام ألفاظ ومصطلحات غير معروفة تحتوي علىٰ معانٍ مشتبهة

وألفاظ مبتدعة، كالوَجْد والذَّوْق والكشف والإلهام والحُلول والاتِّحاد إلى آخره.

٧- كثرة مذاهبهم، وتفرّقهم والخلاف بينهم، والله ﷻ أخبر أَنَّ الذين فَرَّقوُا دينهم وكانوا شِيعًا فَمُحمدٌ ﷺ بريءٌ منهم، وأهل الحق إذا حصل بينهم خلاف ناشئ عن اجتهاد لا يحملُ بعضُهم على بعضٍ حِقدًا ولا عداوة، ولا بغضاء، بل يعتقدون أَنَّهم أُخوة حتى وإن حصل بينهم هذا الخلاف.

٨- مخالفتهم للسُّنَّة الظاهرة، وقد يُعادُون أهلَها، ويُوَالُون أهل الكفر والضلال. كالخوارج وما فعلوه عبر التاريخ، مثل إعانتهم للمشركين مِنَ الترك وغيرهم على أهل الإسلام، وما زالوا إلى يومنا هذا.

٩- يشتهرون بالكذب والنفاق، ويُؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، ويسمُّون الأشياء بغير أسمائها، كما كان المشركون يُلقِّبون النَّبيَّ ﷺ بألقاب افتروها عليه لينفروا الناس مِنْ حوله.

١٠- العُجبُ بنفوسهم، والاستحسان لبدعتهم، والفرح بما لديهم، ويظن الفرد منهم أَنَّهُ حاز علوم الأولين والآخرين، وأنَّ ما عنده ليس عند أَحِد مِنَ العالمين.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾[الروم]، وكما حكى الله تعالى في ذلك: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣].

قال **ابن القيِّم** رحمه الله: « كل طَائِفَة تظن أَن مَا مَعهَا من الْعلم وَالْإِيمَان هُوَ هَذَا الَّذِي بِهِ تنَال السَّعَادَة وَلَيْسَ كَذَلِك؛ بل أَكْثَرهم لَيْسَ مَعَهم إِيمَان يُنجي وَلَا علم يرفع؛ بل قد سَدُّوا على نُفُوسهم طرق الْعلم وَالْإِيمَان اللَّذين جَاءَ بهما الرَّسُول

ودعا إِلَيْهِمَا الْأمة وَكَانَ عَلَيْهِمَا هُوَ وَأَصْحَابه من بعده وتابعوهم على منهاجهم وآثارهم. فكل طَائِفَة اعتقدت أَن الْعلم مَا مَعهَا وفرحت وتقطعوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لديهم فَرِحُونَ. وَأكْثر مَا عِنْدهم كَلَام وآراء وخرص، وَالْعلم وَرَاء الْكَلَام، كَمَا قَالَ حمّاد بن زيد: قلت لأيوب: الْعلم الْيَوْم أكثر أَو فِيمَا تقدّم؟ فَقَالَ: الْكَلَام الْيَوْم أكثر، وَالْعلم فِيمَا تقدم أكثر »(١).

١١- الحرَج مِنْ بعض الآيات والأحاديث، وكراهية ذكرها، ومعاداتهم لحَمَلَةِ أخبار النّبي ﷺ، وانعدام الأمانة العلميَّة في نقل الأخبار.

• قال **ابن القيِّم** رحمه الله: « تجد كثيرًا مِنْ هؤلاء لا يحب تبليغ النصوص النبويَّة، أو إظهارها وإشاعتها »(٢).

وقال **الشوكاني** رحمه الله: « وَهَكَذَا تَرَى أَهْلَ الْبِدَعِ الْمُضِلَّةِ إِذَا سَمِعَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ مَا يَتْلُوهُ الْعَالِمُ عَلَيْهِمْ مِنْ آيَاتِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، أَوْ مِنَ السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، مُخَالِفًا لِمَا اعْتَقَدَهُ مِنَ الْبَاطِلِ وَالضَّلَالَةِ رَأَيْتَ فِي وَجْهِهِ مِنَ الْمُنْكَرِ مَا لَوْ تَمَكَّنَ مِنْ أَنْ يَسْطُوَ بِذَلِكَ الْعَالِمِ لَفَعَلَ بِهِ مَا لَا يَفْعَلُهُ بِالْمُشْرِكِينَ »(٣).

وتراهم ينقلون العلم عن العُلماء مُحرّفًا أو ناقصًا، أو بحسب أفهامهم بما يؤيد بدعتهم، أو يعتمدون على نقل لا يُعرف له قائل أصلًا، لا ثقة ولا معتمدًا. وكثيرًا ما يستدلّون بالدليل في غير موضعه».

١٢- التعصُّب والتقليد الأعمى، وتلبيس الحقّ بالباطل، وتتبُّع الغرائب.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [البقرة]،

---

١) «الفوائد، لابن القَيِّم»، ص (١٠٤).
٢) «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم» (٣/ ١٠٣٩).
٣) « تفسير فتح القدير، للشوكاني» (٣/ ٥٥٤).

عن **ابن عباس** ﷺ: «لا تلبسوا الحق بالباطل، ولا تخلطوا الحقّ بالباطل، والصدقَ بالكذب».

وقال **قتادة**: «ولا تلبسوا الحق بالباطل، ولا تلبسوا اليهوديَّة والنصرانيَّة بالإسلام، وأَنتم تعلمون أَنَّ دين الله الإسلام، وأَنَّ اليهوديَّة والنصرانيَّة بدعةٌ ليست مِنَ الله».

لذلك نَهىٰ أهلُ العلم عن مجالسة أهل البدع، وحثُّوا علىٰ عدم مجادلتهم، وهجرهم، وعدم توقيرهم -لأنَّ مَنْ وقّرَ أَهل البدع فقد أعان علىٰ هدم الإسلام- وترك مجالسهم والاستماع إليهم، ولا تُقبل شهادتهم، ولا يُشهد عند قضاتهم، ولا يُحملُ العلم عنهم ولا يُنظر في كتبهم، ويجب التحذير منهم وبيان ضلالهم.

• قال **عمر بن عبد العزيز** رحمه الله لرجل: « أُوصِيكَ بِتَقْوَىٰ اللهَّ، وَالِاقْتِصَادِ فِي أَمْرِهِ، وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَتَرْكِ مَا أَحْدَثَ الْمُحْدِثُونَ بَعْدَ مَا جَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ، وَكُفُوا مُؤْنَتَهُ، فَعَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ فَإِنَّهَا لَكَ - بِإِذْنِ اللهَّ - عِصْمَةٌ، ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَبْتَدِعِ النَّاسُ بِدْعَةً إِلَّا قَدْ مَضَىٰ قَبْلَهَا مَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَيْهَا أَوْ عِبْرَةٌ فِيهَا، فَإِنَّ السُّنَّةَ إِنَّمَا سَنَّهَا مَنْ قَدْ عَلِمَ مَا فِي خِلَافِهَا - وَلَمْ يَقُلْ ابْنُ كَثِيرٍ مَنْ قَدْ عَلِمَ مِنْ - الْخَطَإِ وَالزَّلَلِ وَالْحُمْقِ وَالتَّعَمُّقِ، فَارْضَ لِنَفْسِكَ مَا رَضِيَ بِهِ الْقَوْمُ لِأَنْفُسِهِمْ، فَإِنَّهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا، وَهُمْ عَلَىٰ كَشْفِ الْأُمُورِ كَانُوا أَقْوَىٰ، وَبِفَضْلِ مَا كَانُوا فِيهِ أَوْلَىٰ، فَإِنْ كَانَ الْهُدَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَقَدْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّمَا حَدَثَ بَعْدَهُمْ مَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ وَرَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ هُمُ السَّابِقُونَ، فَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ بِمَا يَكْفِي، وَوَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، فَمَا دُونَهُمْ مِنْ مَقْصَرٍ »(١).

❁ ❁ ❁

١) أخرجه أبو داود في «سننه»، ب: لزوم السنة، (٤٦١٢).

«العقل وحده لا يكفي»

«العقل المحصن لا يعتبر مصدرًا مِنْ مصادر التشريع أو الاستنباط عند فقهاء الشريعة الإسلاميّة بالاتفاق؛ لأنه لا يحقق العدالة المجردة، ولا المصلحة العامَّة الثابتة، ولا الاستقراء المنشود، بسبب تفاوت العقول البشرية في إدراك الأمور، واختلافها في مقاييس الخير والشرّ، وتصور إدراكها لحقائق الأشياء، واكتشاف آفاق المستقبل، وتأثرها بالمصالح الذاتية، واندفاعها وراء الأهواء والشّهوات، وحماية الثروات الخاصة ومراعاتها مصلحة فئة معينة.

ويكون دور المجتهدين كشف الأحكام وإظهارها، بتفهّم النصوص وتطبيقها، والقياس عليها عند القائلين به، والاجتهاد في استخراج الأحكام منها؛ لأنهم يستندون إلى الكتاب والسُّنَّة في كشف هذه الأحكام وبيانها.

فسلطة التشريع في الإسلام هي لله ربِّ العالمين، وللرسول باعتباره مُبلغ وحي الله إلى سائر الناس».

[أصول الفقه د/ وهبة الزحيلي ٢/ ٩٢٢ - ٩٢]

هذا والاعتماد على العقل ضروري في فهم أحكام التشريع وتبسيطها للناس، وفي أمور الدنيا، فمجالات العقل لا حصر لها وبحار فكره لا شاطئ لها.

❁ ❁ ❁

obeikandl.com

فصل

في أسباب الوقوع في البدع

كلما ابتعد الناس عن نور النبوَّة، وقعوا في ظلمة الفتن، وكلما تركوا الأَمر بالمعروف والنَّهى عن المنكر والتناصح في الله ﷻ، كلما قويت شوكة البدعة وخفتت أَعلام السُّنَّة.

•• ومن أسباب الوقوع في البدع:

١- القول على الله بغير علم: فهو أعظم الداء ورأس البلاء. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

رَتَّبَ اللهُ المحرَّمات أربع مراتب، فبدأ بأقلِّها وهي الفواحش، ثم ثنَّى بما هو أَشدُّ تحريمًا منه وهو الإثم والظُّلم، ثم ثلَّث بما هو أعظم تحريمًا منها وهو الشِّرك به سبحانه، ثم ربَّع بما هو أَشدُّ تحريمًا مِنْ ذلك كلّه، وهو القول عليه بغير علم.

٢- الغلوّ والتنطع: قال **الربيع بن خيثم** رحمه الله: «ما عَلَّمَكَ الله في كتابه مِنْ عِلْمٍ فاحمد الله، وما استأثر عليك به من علم فكِلْه إلى عالمه، لا تتكلَّف. فإنَّ الله يقول لنبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾» [ص].

٣- الانفتاح على بلاد الكُفَّار، وترجمة كتبهم وتدريسها: مما أَدى إلى فتح باب الفتنة، وهطول ذلك السيل الجارف مِنَ الشُّبهات، فقيَّض الله ﷻ لهذه الأمَّة رجالًا يردُّون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وشبهات الملحدين، ونحن لا نعيب الترجمة ومنافعها، ولكننا نريد أنْ تكون الترجمة لما يُفيدُ وينفع، وأنْ يتم عرضُها على مرشح الدِّين فنبين ما يخالفه فيها، ونقوم بالردِّ على الشبهات، ونُبين مواقع السُّم في العسل.

• قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: « أَظْهَرَ اللهُ مِنْ نُورِ النُّبُوَّةِ شَمْسًا طَمَسَتْ ضَوْءَ الْكَوَاكِبِ وَعَاشَ السَّلَفُ فِيهَا بُرْهَةً طَوِيلَةً ثُمَّ خَفِيَ بَعْضُ نُورِ النُّبُوَّةِ؛ فَعَرَّبَ بَعْضَ كُتُبِ الْأَعَاجِمِ الْفَلَاسِفَةُ مِنْ الرُّومِ وَالْفُرْسِ وَالْهِنْدِ فِي أَثْنَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ. ثُمَّ طُلِبَتْ كُتُبُهُمْ فِي دَوْلَةِ الْمَأْمُونِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ فَعُرِّبَتْ وَدَرَسَهَا النَّاسُ وَظَهَرَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مِنْ الْبِدَعِ مَا ظَهَرَ وَكَانَ أَكْثَرُ مَا ظَهَرَ مِنْ عُلُومِهِمْ الرِّيَاضِيَّةُ كَالْحِسَابِ وَالْهَيْئَةِ أَوْ الطَّبِيعَةِ كَالطِّبِّ أَوْ الْمَنْطِقِيَّةِ فَأَمَّا الْإِلَهِيَّةُ: فَكَلَامُهُمْ فِيهَا نَزْرٌ وَهُوَ مَعَ نَزَارَتِهِ لَيْسَ غَالِبُهُ عِنْدَهُمْ يَقِينًا؛ وَعِنْدَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ الْعُلُومِ الْإِلَهِيَّةِ الْمَوْرُوثَةِ عَنْ خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ مَا مَلَأَ الْعَالَمَ نُورًا وَهُدًى »(١).

• قال القرطبيُّ رحمه الله: « قَالَ ابْنُ الْحَصَّارِ: وَإِنَّمَا ظَهَرَ التَّلَفُّظُ بِهَا فِي زَمَنِ الْمَأْمُونِ بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ لَمَّا تُرْجِمَتْ كُتُبُ الْأَوَائِلِ وَظَهَرَ فِيهَا اخْتِلَافُهُمْ فِي قِدَمِ الْعَالَمِ وَحُدُوثِهِ. وَاخْتِلَافُهُمْ فِي الْجَوْهَرِ وَثُبُوتِهِ، وَالْعَرَضِ وَمَاهِيَّتِهِ، فَسَارَعَ الْمُبْتَدِعُونَ وَمَنْ فِي قَلْبِهِ زَيْغٌ إِلَى حِفْظِ تِلْكَ الِاصْطِلَاحَاتِ، وَقَصَدُوا بِهَا الْإِغْرَابَ عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ، وَإِدْخَالَ الشُّبَهِ عَلَى الضُّعَفَاءِ مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ. فَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ ظَهَرَتِ الْبِدْعَةُ، وَصَارَتْ لِلْمُبْتَدِعَةِ شِيعَةٌ، وَالْتَبَسَ الْأَمْرُ عَلَى السُّلْطَانِ، حَتَّى قَالَ الْأَمِيرُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَجَبَرَ النَّاسَ عَلَيْهِ، وَضُرِبَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ على ذلك »(٢).

٤- شُبَهُ التأويل والقياس الفاسد: فالمبتدع إمَّا أنْ يكون قد بلغه حديثٌ غيرُ صحيح، أو أَثرٌ عن غيرِ الرسول ﷺ قلّده فيه ولم يكن ذلك القائل مصيبًا، أو تأويلٌ مِنْ آيةٍ أو حديث ولم يكن التأويلُ صحيحًا، أو قياسٌ فاسدٌ أو رأيٌ اعتقده صوابًا وهو خطأ.

---

١) مجموعة الفتاوى (٢/ ٨٤).
٢) تفسير القرطبي (٢/ ٢١٣).

٥- الرغبة في الدُّنيا وطلب الشُّهرة وفتنة العلماء المضلِّين: قال تعالى: ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾** ﴾ [التوبة].

قال **ابن زيد** رحمه الله: « هؤلاء المنافقون قالوا: والله ما يُعطيها محمد إِلَّا مَنْ أحب ولا يُؤثر بها إِلَّا هواه، فأَخبر اللهُ نبيَّهُ وأَخبرهم أنه إنما جاءت مِنَ الله، وأَنَّ هذا أمر مِنَ الله وليس مِنْ محمدٍ ﷺ»(١).

• قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: « إِنَّ أَهْلَ الْبِدَعِ الَّذِينَ ذَمَّهُمْ اللهُ وَرَسُولُهُ نَوْعَانِ:

أحدهما: عَالِمٌ بِالْحَقِّ يَتَعَمَّدُ خِلَافَهُ.. **والثاني**: جَاهِلٌ مُتَّبِعٌ لِغَيْرِهِ.

فَالأَوَّلُونَ: يَبْتَدِعُونَ مَا يُخَالِفُ كِتَابَ اللهِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إمَّا أَحَادِيثُ مُفْتَرَيَاتٌ وَإِمَّا تَفْسِيرٌ وَتَأْوِيلٌ لِلنُّصُوصِ بَاطِلٌ وَيُعَضِّدُونَ ذَلِكَ بِمَا يَدَّعُونَهُ مِنْ الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ وَقَصْدُهُمْ بِذَلِكَ الرِّيَاسَةُ وَالْمَأْكَلُ فَهَؤُلَاءِ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ مِنْ الْبَاطِلِ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ مِنْ الْمَالِ عَلَى ذَلِكَ وَهَؤُلَاءِ إذَا عُورِضُوا بِنُصُوصِ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ وَقِيلَ لَهُمْ هَذِهِ تُخَالِفُكُمْ حَرَّفُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ بِالتَّأْوِيلَاتِ الْفَاسِدَةِ »(٢).

• سُئِلَ **حُذيفة** رضي الله عنه عن قول الله عز وجل: ﴿ **ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ** ﴾ [التوبة: ٣١]؛ هَلْ عبدوهم؟ فَقَالَ: « لَا، وَلَكِنْ أَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ فَاسْتَحَلُّوهُ، وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ فَحَرَّمُوهُ »(٣).

---

١) تفسير الطبري (١٠/ ١٥٧).
٢) مجموعة الفتاوى (١٧/ ٤٣٣).
٣) تفسير القرطبي (٨/ ١٢٠).

• قال **الشاطبيُّ** رحمه الله: « فَالْمُبْتَدِعُ يَزِيدُ فِي الِاجْتِهَادِ; لِيَنَالَ فِي الدُّنْيَا التَّعْظِيمَ وَالْمَالَ وَالْجَاهَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الشَّهَوَاتِ »(١).

• قال **ابن مسعود** رضي الله عنه: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَأَسِّيًا فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا وَأَحْسَنَهَا حَالًا، قَوْمًا اخْتَارَهُمُ اللهُ تَعَالَى لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ »(٢).

إنَّ المؤمن إذا تدبّر سائر مقالات الفلاسفة وغيرهم مِنَ الأمم التي فيها ضلال وكُفْر، وجد القرآن والسُّنَّة كاشفَين لأصولهم، مبيِّنين لهم الحق، مميِّزين بين حقّ ذلك وباطله، والصحابة كانوا أعلم الخلق بذلك، كما كانوا أقوم الخلق بجهاد الكفَّار والمنافقين.

٦- كثرة الخصومات والجدل والفرق والتعنت: وكثرة الأسئلة التي لا فائدة مِنْ تحصيلها، ولا يُبنىٰ عليها عمل، وافتراض المسائل وإثارة الشبهات.

وفي الحديث: **{ مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ }**، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: **(مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾)** [الزُّخرف](٣).

• قال **الإمام مالك** رحمه الله لرجل مِنْ أهل البدع: «بَعَثَ الله عز وجل مُحمدًا ﷺ بدينٍ واحد، وأَراك تنتقل مِنْ دين إلى دين».

وقال **عمر بن العزيز** رحمه الله: «مَنْ جعل دينَه غرضًا للخصومات أكثر التنقُّل».

٧- عدم الفهم: قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وأصل وقوع أهل الضلال في مثل

---

١) الاعتصام، للشاطبي (١/ ٩٠).
٢) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، رقم (١٨١٠)، (٢/ ٩٤٧).
٣) أخرجه الترمذي ك: «تفسير القرآن» ب: «مِنْ سورة الزخرف» ح: «٣٢٥٣» وقال: حسن صحيح.

هذا التحريف، الإعراض عن فهم كتاب الله تعالىٰ، كما فهمه الصحابة والتابعون، ومعارضة ما دَلَّ عليه بما يناقضه، وهذا مِنْ أَعظم المحادَّة لله ولرسوله، لكن علىٰ وجه النِّفاق والخداع»(١).

مثال ذلك: بدعة الخوارج إنَّما هي مِنْ سوء فهمهم للقرآن والسُّنَّة، قالوا: قتال المؤمن كُفْر استنادًا إلىٰ الحديث: { سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ }(٢)، ولم يرد إلىٰ عقولهم قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات].

واستدلّوا بمن تحاكم لغير الله فقد كفر استنادًا إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧]، وغفلوا عن قوله تعالىٰ: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ [الأنبياء:٧٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة:٩٥]، فضلُّوا بسوء الفهم، وعدم قدرتهم علىٰ جمع الأدلة والتوفيق بينها.

• **قال ابن القيمِّ** رحمه الله: «سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كلِّ بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصلُ كلِّ خطأ في الأصول والفروع، ولا سيما إنْ أُضيف إليه سوء القصد، فيتفق سوء الفهم في بعض الأشياء مِنَ المتبوع مع حسن قصده وسوء القصد مِنَ التابع، فيا محنة الدين وأهله، والله المستعان.

وهل أَوقع القدرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة والجهمية والرافضة وسائر الطوائف مِنْ أهل البدع إِلَّا سوءُ الفهم عن الله ورسوله، حتىٰ صار الدين بأيدي أكثر الناس هو موجب هذه الأَفهام، والذي فهمه الصحابة ومَنْ تبعهم عن الله ورسوله فمهجور لا يُلتفت إليه، حتىٰ إنك لتمرُّ علىٰ الكتاب مِنْ أَوله إلىٰ آخره

---

(١) درء تناقض العقل والنقل، لابن تيمية (٥/ ٣٨٣).

(٢) أخرجه البخاري ك: «الإيمان» ب: «خوف المؤمن مِنْ أنْ يحبط عمله وهو لا يشعر»، ح: «٤٨»، ومسلم ك: «الإيمان» ب: «بيان قول النّبيّ ﷺ سباب المسلم فسوق» ح: «٦٤».

فلا تجد صاحبه فَهِمَ عن الله ورسوله ﷺ ومراده كما ينبغي في موضع واحد، وهذا إنما يعرفه مَنْ عرف ما عند الناس، وعرضه على ما جاء به الرسول ﷺ، وأمَّا مَنْ عكس الأمر بعرض ما جاء به الرسول على ما اعتقده وانتحله، وقلَّدَ فيه مَنْ أحسن به الظنّ فليس يجدي الكلام معه شيئًا، فدعه وما اختار لنفسه مِنَ الهَوَى، وَوَلِّه ما تولَّى، واحمد الله الذي عافاك مما ابتلاه »(١).

٨- التعصب لمذهب معين أو لشيخ معين بدون دليل وعلم من الكتاب والسُّنَّة الصحيحة:

وخاصة إنْ كان مشهورًا أو متبوعًا، وهؤلاء مِنَ الدُّعاة على أبواب جهنم مَنْ أجابهم قذفوه فيها، وهم مِنْ جِلدتِنا ويتكلَّمون بألسنتنا.

إنَّ الله تعالى لَيُدخِل العبد الجنَّة بالسُّنَّة يتمسَّك بها، وباتِّباعه للحقِّ، والحقّ لا يُعرَف بالرجال، إنما يُعرَف الرجال بالحقِّ، والحقُّ ما وافق الحقَّ (جلّ وعلا) وإنْ كنت وحدك. كما قال **ابن مسعود** رضي الله عنه.

٩- اتِّباع المتشابه: كما قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران].

١٠- الجهل بمقاصد الشريعة، والجهل بالمطلق والمقيد فيها؛ والخاص والعام؛ والناسخ والمنسوخ؛ وعدم إحاطتهم بما قال الله وقال رسوله، لذلك وصف الله تعالى العلماء بإحاطتهم وعلمهم بكتاب الله تعالى. قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [المائدة: ٩٥].

❁ ❁ ❁

وقفة

(١) كتاب «الروح»، لابن القَيِّم (١/ ٦٣).

قال الخطيب البغدادي رحمه الله واصفًا الفرقة الناجية المجدِّدة بأنهم:

« حَفَظَةُ الدِّينِ وَخَزَنَتُهُ، وَأَوْعِيَةُ الْعِلْمِ وَحَمَلَتُهُ. إِذَا اخْتُلِفَ فِي حَدِيثٍ، كَانَ إِلَيْهِمُ الرُّجُوعُ، فَمَا حَكَمُوا بِهِ، فَهُوَ الْمَقْبُولُ الْمَسْمُوعُ. وَمِنْهُمْ كُلُّ عَالِمٍ

obeikandl.com

فصل
بين العقل والشرع

• إذا تعارض النَّقل والعقل في المسائل الشرعيَّة تقدَّم النقل فيكون متبوعًا وتأخَّر العقل فيكون تابعًا، وذلك لثلاثة أمور:

الأول: أَنَّه لو جاز للعقل تخطي مأخذ النقل لم يكن للحدِّ الذي حدَّه النقل فائدة، فإذا جاز تعديه صار الحد غير مُفيد، وذلك في الشريعة باطل.

الثاني: أنَّ العقل قد لا يُحسِّن ولا يُقبِّح ولو فرضناه متعدِّيًا لما حدَّه الشّرع لكان محسِّنًا ومقبِّحًا.

الثالث: لو جاز إبطال الشريعة بالعقل - وهذا محالٌ باطل-؛ لأَنَّ معنىٰ الشريعة أنها تحدّ للمكلفين حدودًا في أفعالهم وأقوالهم واعتقاداتهم، فإنْ جاز للعقل تعدِّي حدٍّ واحد جاز له تعدِّي جميع الحدود؛ لأنَّ ما ثبت للشيء ثبت لمثله. وتعدِّيٰ حدٍّ واحد هو بمعنىٰ إبطاله أي ليس هذا الحدُّ بصحيح، وإنْ جاز إبطال واحد جاز إبطال سائر الحدود، وهذا لا يقول به أحد لظهور محاله.

❁ ❁ ❁

حتىٰ القياس الذي هو للعقل فيه دور مع الشَّرع ليس مِنْ تصرُّفات العقول محضًا وإنَّما تصرَّفت فيه العقول مِنْ تحت نظر الأدلَّة الشرعيَّة، وعلىٰ حسب ما أَعطته مِنْ إطلاق وتقييد.

والله ﷻ جعل العقل مشتركًا بين الإنسان وسائر العَجْماوات، وفرَّق بينهم في وظيفة العقل، فجعل العَجْماوات عقولها محصورة في تحصيل الطعام والشراب والشهوة، ووسائل الدفاع عن نفسها، وحفظ النوع للتكاثر، وميَّز الإنسان فوق ذلك بالرُّقيِّ والعُلُوِّ بالتكليف في فهم آيات الله ﷻ والهداية التي تأتي منه عن

طريق رُسُله الكرام.

وهذا التميُّزُ بين الإنسان والحيوان، فإذا فقد الإنسان هذه الوظيفة كان أحطَّ قدرًا مِنَ العَجْماوات، وصار كمثل الحمار يحمل أسفارًا، وكمثل الكلب إنْ تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، وكمثل الأنعام بل أضلُّ، وصار في أَسفلِ سافلين، وفي خُسْرٍ.

ومحل ندم أهل النَّار يوم القيامة ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠]. فلوسمعوا آيات الله وعقلوها (وهذه وظيفة العقل) لاهتدوا إلى فطرة الله وسُنَّته، وما كانوا في أصحاب السّعير.

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

في هذه الآيات :

١- آيات جاءت مِنَ الله ﷻ الخبير بصنعته، واللَّطيف بعبده، الحكيم الرحيم، وهو سبحانه له الخلق الذي جعله في أحسن تقويم، وله الأمر الذي ناسب هذا الخلق فهداه به إلى صراطه المستقيم.

٢- **(فَانسَلَخَ مِنْهَا)**: تدلُّ على التدرج في إحلال منهج الشيطان محل هداية الرحمن، فلم يترك آيات الله مرة واحدة وفجأة؛ بل أخذ مع الزمن يَفْتُر ويضعُف شيئًا فشيئًا، فيتغيَّر بالتدرُّج.

٣- **(فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ)**: لما حدث التغيير والانسلاخ مِنْ آيات الله التي كانت بمثابة الحماية له مِنَ الشيطان، صار هو بهذا الانسلاخ أعلى مِنَ الشيطان وقائدًا له في

الغواية؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، ولم يَقُل: فاتَّبع الشيطان، وصار مِنَ الغاوين، ولم يقل مِنَ الْمُغْوِيْنَ الذين أغواهم إبليسُ وجندُه (نعوذ بالله منه).

١- ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾: الوظيفة الثانية لآيات الله ﷻ بعد حمايته مِنَ الشيطان هي: الرِّفعة والعُلوُّ والتّميُّز.

٢- ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: إلى شهوات الدنيا وزهرتها، وإلى ما عليه الناس، كأن فيها استسلامًا وخذلان ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

٣- ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: إذا ضلَّ العبدُ طريقَ الوحي فعلامة ذلك الضلال هو اتِّباع الهَوَىٰ.

٤- ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾؛ لأنه فقد وظيفة العقل التي اختارها الله له وميَّزه بها. وأصبح مشترِكًا مع هذه الحيوانات، إنْ أَعطاها صاحبها شكرت، وإنْ منعها صبرت، فشكرُها وصبرُها على دنيا (طعام - وشراب - وشهوات) ليس إلَّا.

٥- ﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾: دليل على أنَّ المكذّبين لله ولرسوله المعاندين لهما هم جماعة مِنَ الناس يقودهم قائد ويحتويهم رائد، وكذلك أهل الحق جماعة أُسوتهم رسول الله ﷺ وهو رائدهم.

٦- ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: علامات واضحة الدلالة لكل مكذِّب بآيات الله تعالى.

٧- ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾: ولم يقُل: القِصص - بكسر القاف - للدلالة والتفرقة على أنَّ ما يقصُّه الله تعالى هو: القَصَص الحقُّ، كلُّه حقٌّ لا باطل فيه، وأنه أحسنُ القَصص وأجملُه وأتمُّه، وأنَّ فيه العِبرة والعظة والفائدة، ما كان حديثًا للتسالي وللمجالس يُفتَرَى، ويكفي أنه مِنْ عند الله ﷻ، وأورده في كتابه الذي لا يأتيه

الباطل مِنْ بين يديه ولا مِنْ خَلْفِه، وأنه قَصص واقعيٌّ لا خيال فيه ولا أوهام، يحكي قَصص السّابقين والأوّلين وتاريخ الأمُم السابقة، ويكفي أنه يحتوي على قَصص المرسلين والصالحين مِنْ عباد الله ﷻ، كل ذلك على خلاف القِصص التي يكتبها القصَّاصون وما فيها مِنْ أوهام وخيال وخلط بين الحق والباطل، والصدق والكذب.

وفي ذلك كله آيات لمن أراد أنْ يتفكَّر ويعتبر.

❁ ❁ ❁

• السُّنة:

مما سبق تأكد لنا خطورة البدعة وخطر الابتداع، وأَنَّهُ لا يمكن تطوير وتحديث أَساليب تَعَلُّم الدين، وتغيير الخطاب الديني بالبدع أو باتِّباع الأهواء والأوهام، أو أَنْ يكون المطالب بهذا التغيير، والقائم على عملية التعليم مِنَ المبتدعين، بل لا بُدَّ أنْ يكون عالمًا بالسُّنَّة وملتزمًا بها.

والسُّنَّة أصلها في لُغة العرب: الطريق والسيرة، ومقصود الرجل.

منها قوله ﷺ: **{ لَتَتبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم }**[1]، وقوله: **{ عَلَيكُم بِسُنَّتِي وَسُنَةَ الخُلفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيينَ مِن بَعْدِى }**[2].

وفي الشرع: يُراد بها الشريعة الواردة مِنَ الكتاب والسُّنَّة، وما استنبِط منها من أصول، وما ورَدَ مِنْ أخبار وآثار وأحاديث صحيحة.

وقيل: هي ما لا اسمَ له غيرُ السُّنَّة.

---

(١) أخرجه البخاري: ك: «الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة» ب: «قول النَّبي لتتَّبعنّ سُنَن مَنْ كان قبلكم» ح: «٦٧٧٥».

(٢) أخرجه الترمذي: ك: «العلم» ب: «الأخذ بالسُّنَّة واجتناب البدعة» ح: «٢٦٠٠».

وقيل: هي ما قام الدليل الشَّرعي عليه، وهي شاملة (الواجب - والمندوب - والمُباح) سواء مِنْ قبل الأعمال أو الأقوال أو الاعتقادات.

وقيل: هي متابعة النَّبيِّ ﷺ في الأقوال والأفعال. قال تعالىٰ: ﴿**وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [الأعراف: ١٥٨].

يُستثنىٰ مِنْ ذلك ما خصَّ الله ﷻ به نبيَّه، كالزواج بتسع، وما خصَّ به نفسه ﷺ كالوصل في الصيام.

وقيل هي: التمسُّك بهديه ﷺ، وهي تتراوح بين الوجوب، والتأكيد، والاستحباب.

فهناك سُنَّة واجبة، وأخرىٰ مؤكَّدة، أو مُستحبَّة. وذلك حسب القرائن والألفاظ.

وأهل النقل والأثر المتبعين آثار الرسول ﷺ وآثار أصحابه هُمْ أَهلُ السُّنَّة، لأنهم علىٰ تلك الطريقة التي لم يحدث فيها حادث، وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله ﷺ وأصحابه.

❁ ❁ ❁

opeikandl.com